الزاوية التي تنظرمن خلالها أميركا للسعودية.. وكيف ستخرج الأخيرة بنصف نصف كرامة من اليمن؟

عبدالكريم المدي

بات من الواضح أن أميركا لم يعد يعنيها في منطقة الخليج خاصة والمنطقة العربية عامة إلا بيعها الأسلحة والإستحواذ على أرصدتها وأستثماراتها لديها،إلى جانب تهيئة المناخات لإهانتها وإدخالها في صراعات طائفية تحفظ لها وبأقل جهد إستمرارية التفوق الإسرائيلي الذي تعتبره البوصلة التي تهتدي وتسترشد بها، ومادون ذلك،بما فيه النفط والشعارات التي كانت تُزايد بها طوال العقود الماضية والمتعلقة منها تحديدا بحقوق الإنسان وقيم الديمقراطية والحرية ومحاربة الإرهاب ،لم يعد لها مكان في قائمة إهتماماتها، ولو كان ذلك حتى من باب الحُجج والذرائع التي عادة ما كانت تُوظّفها للتدخل العسكري المباشر وإسقاط أنظمة ودول قائمة كما حصل في العراق وأفغانستان وليبيا وغيرها، وإن كانت تلك التدخلات ،في نظر الكثيرين، هي العنصر الأول الذي أسس لهذا الوضع المزري الذي نعيشه اليوم.

ورغم أن الاستراتيجية الأميركية/ الغربية الجديدة قد غدت مفهومة لدى قطاع واسع من الناس، خاصة مع صعود اليمين المتطرف وتفشي الشعوبية التي تعمل بقوة على إزاحة اللبرالية وقيم التعدد، إلاأن الفاعلين الرئيسيين في منطقتنا لا يريدون أن يفهموا ذلك،سيما الحلفاء الاستراتيجين لواشنطن وعلى رأسهم السعودية والدول الخليجية ومصر، فهوءلاء يُمعنون في إنتهاج سياسات تطغى عليها العشوائيةوالمزاجية من جهة ،والتباينات الشديدة فيما بينهم من جهة ثانية، ونتيجة لهذه السياسات ومفاهيم التبعثُر والمكابرة التي تُعميهم عن مشاهدة المخاطرومواجهة الحقائق التي يأتي في مقدمتها دفع أميركا وبريطانيا لهم للدخول في دوامات من الصراعات وحروب الإستنزاف المميتة،ضف إلى ذلك تشجيعهم نحو تبني سياسة العدوالحقيقي (الصهيواميركي) المتمثلة بتعبئة اللحظة وتلغيم الشعوب بالكراهيةوإدخالها في مرحلة من التمزّق الشديد في نسيج التعايش والتسامح، هاهوالجميع يهبط هبوطا شاملا نحو القاع والضياع .

صحيح قد يكون لإيران مشروع ما في المنطقة،وصحيح قد يكون كثير من مسؤليها البارزين يستخدمون مفردات

خشبية تطغى عليها نبرة التحدي التي تُقدم بعضهم كحرّاس للتعالي والاستفزاز ، إلاأن ردّات الفعل عليها في دول كالسعودية غالبا ماتكون عبثية، عدمية، مبتسرة تقود إلى تداعيات ومعضلات كبرى ليس لها منطق ولا قواعد.

أتذكّرُ أننا ومن أول يوم للعدوان السعودي على اليمن ومن قبله تدخلهم في سورياوإمداد اطراف معينة بالمال والسلاح والإعلام الموجّه، رفعنا أصواتنا ونصحنا – كعرب – باخلاص وقلنا :إن معالجة ما يجري بتلك الطريقة خطأ فادح سيقود إلى كوارث يصعب معالجتها ،وأن الرهانات على المال والإمبراطوريات الإعلامية والتأثيرفي دول المركز لن يقود – أيضا- إلا لمزيد من الخسائر وتمزيق الشعوب وغرس بذور الطائفية، الأمر الذي عني أن أي رغبة لحسم الملفات وحماية أي شكل من أشكال التضامن العربي ستظل بعيدة منتهى البعد عن التحقق، لكن للأسف الشديد، لم يسمعنا أحد ،بل على العكس عمد المُخاطب – من خلال إعلامه وأنصاره هنا وهناك – على إستغبائنا بكل عنجهية.

اليوم وبعد كل ما نشاهده ونعيشه من مآسي وتفتيت حقيقي للوحدة الوطنية والنسيج الاجتماعي في اليمن وسوريا والعراق،ما الذي يُمكن أن نقوله ونقوم به ،ومن سيعالج هذه الأوجاع ويرمم هذا الكم من التشققات الحاصلة في جسد المجتمعات ويعيدها مشكورا إلى العام (2011)؟

تساؤلات ملحة تفرضها هذه الضبابية الحاصلة في آفاقنا : من سيخرجنا من هذه الأنفاق والأقفاص الحديدة ويعيد غرس بذور السلام ويفتح المدارس والحدائق للأطفال والمستشفيات للمرضى ؟

كمواطن يمني وعربي أقرّ ُ بأنني أشاهد صور المجاعة والتشرّ ُد ومواكب الشهداء في وطني (اليمن) ومعها قوافل المهجّرين قسريا – بإشراف التحالف – من الجنوب إلى الشمال اضافة لضحايا القتل على الهوية أوبصواريخ (العاصفة)، أشعر بصدمة شديدة لا أستطيع معها النظر في هذه الصور المفزعة ،وأقرّ ُ أنني وبعد كل ما أشاهده من عيون دامعة وقلوب نازفة وأفواه جائعة، سواء في اليمن أوسوريا، وما أشهاده – أيضا- واعيشه من حالة نسيان وإنفصال شبه تام عن قضيتنا الأولى (القضية الفلسطينة) ،أقر بعجزي الكامل في التعبير عن ذلك ،أحسّ ُ معها أن لغتي لا تسعفني ، تستقوي عليّ حروفها وأبجديتها ومفرداتها.

كُلنا رجاء بأن قوى العدوان على اليمن وكل حلفاء الموت في سوريا تكون قد وصلت إلى قناعة ترى بموجبها أن الحائط الوحيد للخروج من معضلتيّ ومستنقعيّ اليمن وسوريا ، الذي يُمكن له أن يضمن لها الحد الأدنى من ماء الوجه وبقية من شرف وكرامة وأمن هو الإعتراف بالآخر وبفشل الحلول العسكرية والتوقف الفوري من مغامرات ومحاولات إجتياز هذه الأراضي المجهولة والتي صارت مصدر جحيم تحرق الجميع وتصيب من وطأت قدمه فيها أوووصلت أسلاحته إليها باللعنة.

كاتب يمني